دلالة صيغة (أفعال) على ضوء نظريّة النظم دراسة صرفية تحليلية
(معلقة لبيد نموذجا)

د. فاطمه عمر السايز زاهد*

د. إحسان حسن صالح عبد الرحمن*

المستخلص:

تتعلق هذه الدراسة بدراسة صيغة (أفعال) على ضوء نظرية النظم وذلك من خلال معلقة لبيد بن أبي ربيعة. هدفت الدراسة إلى تعريف القراء بأهمية النظر بدرجة متساوية إلى كل أنواع الاستخدام اللغوي سواء أكانت صرفيّة أو نحويّة أو معجميّة أو دلالية؛ إذ أنّه لا ينفصل عن بعضه البعض، بيان أهمية الدلالة السياقية في تحديد المعاني الصرفية، الوقوف على القيمة اللغوية للتعبير من خلال إظهار مصطلح " الوجوه " الذي ذكره عبد القاهر في نظرية النظم، والوقوف على شواهد صيغة أفعال من خلال معلقة لبيد بن أبي ربيعة. وقد استخدمت الباحثتان المنهج الوصفي التحليلي، وقامتا بجمع المعلومات من أمهات كتب اللغة ودواوين الشعراء لدعم أقوال العلماء بالشواهد المعضّدة. وقد توصلت الباحثتان إلى عدد من النتائج أهمها:

1. ارتبط علم الصرف ارتباطا وثيقاً بعلم الدلالة؛ إذ أن تغير البنية يتبعه تغير معنى المفردة في السياق.
2. تؤخذ دلالة الصيغة الصرفية (أفعال) من السياق وما يحتويه من قرائن دالة على المعنى المراد.
3. الزيادة في بنية الكلمة المنطوقة يقابله تغيير في معناها الصرفي.
4. تضمنت قصيدة لبيد عددا من الألفاظ التي جاءت على أفعال مع الاختلاف في دلالة معانيها.
5. سلامة النص وتماسكه تقتضي التناسق بين اللفظ والمعنى.
6. العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى تكشف لنا الكثير من المعاني التي تحملها الألفاظ.

الكلمات المفتاحية: الدلالة؛ صيغة أفعال؛ نظرية النظم، لغوية، صرفية، معلقة لبيد.

Abstract

* أستاذ النحو والصرف المساعد قسم اللغة العربية – كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - جامعة القصيم- السعودية.

* استاذ النحو والصرف المساعد – قسم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية – جامعة القصيم- السعودية.

Grammar is of great importance in the Arabic lesson, and this study aimed to clarify this and to explain the integrity of its structures That lead to verbal integrity.

The aesthetic and creative performance in grammar is an important stage of "virtue and merit" in the theory of Abdul-Qahir Al-Jarjani, "Al-Nazm" theory, which linked him with rhetoric and exchange with a close bond

;falsiyaq la yafham 'illa ealaa daw ' alsiygh alssrfyt alty yuadiy taghayuruha fi siaqiha 'iilaa taghayar almaenaa

;The context is understood only in light of the morphological formulas whose change in their context leads to a change in meaning.

As well as changing the letters of kindness, preposition, interrogation or others that lead to a change in connotations and transitions between Meaning, metaphor, metonymy, representation, and other forms of metaphor are all closely related to each other This study aimed to demonstrate this by applying to a pre-Islamic poem. , In one of the widely used formulas of the few, which are "verbs" It also aimed to show the value of pre-Islamic poetry from which the Arabic language derives its strength, for the sincerity of its expression and for preserving its origin It also aimed to show the value of pre-Islamic poetry from which the Arabic language derives its strength, for the sincerity of its expression and for preserving its origin from forgery and misrepresentation.

All forms of linguistic use should be considered equally. As it is not separated from each other; Contextual significance has an effect in determining its connotations and morphological meanings consolidate its meanings.

مقدمة:

يلاحظ أن القدماء والمحدثين قد استخدموا لفظة دلالة مرادفاً للفظة معنى، أي أن دلالة اللفظة هي معناها؛ فاستعملها ابن جني ليدل بها على المعنى الذي يعرف اليوم بما سميّ بالدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية[1]. وعرف ابن خلدون المصطلح بقوله: " هذا العلم حادث في اللغة بعد علم العربية. وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده".[2].

لعلم الصرف أهمية كبرى في الدرس اللغوي العربي؛ لسلامة تراكيبه التي تؤدي إلى سلامة الألفاظ، والأداء الجمالي والإبداعي، كما في النحو، وهو مرحلة مهمة من مراحل " الفضيلة والمزيّة " في نظريّة عبد القاهر الجرجاني " النّظم " والتي ربطت بينه وبين البلاغة والصّرف برباط وثيق؛ فالسياق لا يفهم إلّا على ضوء الصيغ الصّرفيّة والتي يؤدي تغيرها في سياقها إلى تغير المعنى. وكذلك تغير حروف العطف أو الجر أو الاستفهام أو غيرها يؤدي إلى تغير الدلالات والانتقال بين المعاني. والاستعارة، والكناية، والتمثيل، وسائر ضروب المجاز، كلها ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقاً. وقد اتفق الباحثون على أن أهم مصادر المادة اللغوية هي السماع من العرب الموثوق بعربيتهم وما استلزمه ذلك من انتقاء لمن تؤخذ عنهم اللغة تدقيقا وتثبيتا في الرواية وإقامة القواعد على الكثير الشائع في الاستعمال شعرا ونثرا وتأويلا لما خالف ذلك، فجاء الشعر في المرتبة الثانية عندهم بعد النص القرآني وكان حظ المعلقات أن تأتي في المرتبة الأولى من مصادر المنقول عن العرب الذي استمدت منه اللغة العربية قوتها؛ لصدق تعبيره ولحفاظه على أصله من التزييف والتحريف.

لقد كان هم علماء العربية الأول هو دراسة اللّغة من جميع جوانبها ؛ حتى يتسنى لهم فهم النص القرآني ،وتجنبا للتحريف واللّحن الذي ظهر على ألسنة المتكلّمين لهذه اللّغة، فقد كان سبيلهم الوحيد هو تسخير جهودهم المعتبرة لوضع ضوابط وقواعد تحفظ ألسنة الناطقين لها من الوقوع في الخطأ ومن ثمّة نشأ علم النحو الذي من غاياته تقنين اللّغة ودرس ظواهرها التركيبية، ولماّ كان علم النحو عاجزا عن دراسة كلّ ظواهر اللّغة فقد ظهرت إلى جانبه علوم أخرى تصبو إلى الهدف نفسه ؛ كعلم المعجم والبلاغة و الدلالة وعلم الصرف .هذا الأخير الذي كانت موضوعاته حتى عصور متأخرة متصلة بمسائل النحو، ولم يفرد له العلماء أبوابا خاصة ، بل أنّ جلّ العلوم اللّغوية من نحو وصرف وبلاغة وغيرها كانت تسمى مجتمعة "علوم العربية "أو "علم العربية "غير أنّ هذه العلوم انفصلت فيما بعد عن بعضها نتيجة نشاط حركة البحث والتأليف ،واتجاه الدراسات نحو التخصص الدقيق فكان

(1) ابن جني : الخصائص / 100-103

(2) ابن خلدون: المقدمة، ج2، 375

علم الصرف من بين هذه العلوم التي استقلّت بموضوعها وقواعدها وأصولها.

أما علم التصريف عند اللّسانيين العرب: هو علم يدرس بنية الكلمات وأشكالها لا لذاتها، وإنمّا لغرض دلالي أو لغرض صرفي يفيد خدمة الجمل والعبارات، ومن أهم قضاياه: المشتقّات وأزمنة الأفعال والتعريف والتنكير، والتعدي واللّزوم، والمغايرة في الصيغ [1]..

ولما كان الانصراف عن الصرف وتعلُّمُه هو طابع الحاضر الحديث فقد ركزت هذه الدّراسة على تبيين مهمته والتي تهتم بدراسة الكلمات من حيث هيئتها وبنيتها، إذ أن للكلمة جانبان هما الصوت والمعنى الذي يحمله هذا الصوت ، وهو المعنى المعجمي الذي ينتج عن مجموع الحروف الأصول التي تؤلف الكلمة، وله كذلك جانبان لا يقلان أهمية عن هذين الجانبين وهما: الصيغة والمعنى الذي تحمله هذه الصيغة ، وهو معنى إضافي زائد عن المعنى المعجمي، متغير بتغير شكل الكلمة وهو ما يسمى بالمستوى الصرفي[2]. ومنذ وقت مبكر اهتم العلماء بدراسة صيغ الكلمات واستنباط دلالات محددة لكل صيغة، تلك الصيغ التي أصبحت فيما بعد قوالب فكرية عامة تصاغ فيها الألفاظ وتتحدد بها المعاني العامة.

ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) _من خلال نظريته المسماة بالنظم_ أن مستوى الأداء الجمالي في الأسلوب هو الذي يؤدي إلى اتساق اللغة ولا علاقة له بتغير أواخر الكلم بالإعراب ؛ وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كُلُّهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالرؤية فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع ، أو المفعول النّصب ، والمضاف إليه الجر بأعلم من غيره ؛ وإنّما هذا الإمكانات (الأسلوب والمعنى) تتمثل في العلم بما يوجب الفاعليّة للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز مثلاً، وأشباه ذلك من التراكيب التي ليست علماً بالإعراب ولكن بالوصف الموجب للإعراب[3] ، كما أفضت إلى ضرورة دراسة الأدب والشعر على ضوء الربط بين المعنى والمسائل المتعلقة بنظام التركيب والعبارة على حسب مقتضيات اللغة ؛ لأنه الوسيلة إلى إدراك المعنى من وراء اللفظ وتفهم الغرض الكامن وراء الشكل.

ويذكر تمام حسان أن في الصرف مورفيمات لها أسماء خاصة كالطلب والصيرورة والمطاوعة والتعدي واللزوم والافتعال والتكسير والتصغير والوقف[1].

---

(1) كمال بشر : ص383

(2) أحمد قدور: ص 118.

(3) الجرجاني: دلائل الاعجاز، 362.

(1) تمام حسان ، ص 132.

مشكلة البحث:

(صيغة أفعال) أحد صيغ جموع القلة باتفاق النحاة_ بصريين وكوفيين_ على حد سواء وقد تناول الكثير من العلماء والدارسين أهميتها وشرح عناصرها. ويحتاج الدارسون في وقتنا الحاضر إلى المزيد من الدراسات التطبيقية حول هذا الموضوع. وبذلك تسعى هذه الدراسة إلى مناقشة طريقة تطبيق صيغة أفعال على معلقة لبيد بن أبي ربيعة باعتبارها أحد مصادر المادة اللغوية في عصر سلامة اللغة، لعل ذلك يكون إسهاما في مجال البحث ويشجع الآخرين على تتبع صيغ جموع القلة في النصوص الأدبية المختلفة من معلقات وغيرها.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1. بيان أهمية اللفظ والمعنى من خلال الصيغ الصرفية كما جاءت عند ابن الناظم والعلماء من قبله ومن بعده
2. تعريف القراء بأهمية النظر بدرجة متساوية إلى كل أنواع الاستخدام اللغوي سواء أكانت صرفيّة أو نحويّة أو معجميّة أو دلالية؛ إذ أنّه لا ينفصل عن بعضه البعض.
3. بيان أهمية الدلالة السياقية في تحديد المعاني الصرفية.
4. الوقوف على شواهد صيغة أفعال من خلال معلقة لبيد بن أبي ربيعة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها قد خصصت لبيان باب من أبواب الصرف الرئيسة وهو جموع القلة، بتتبع شواهد صيغة أفعال من خلال معلقة لبيد بن أبي ربيعة. كما إنها تثري المكتبة العربية وتقود القراء إلى أفكار إضافية في مجال الصرف العربي وتحليله، حيث لا يهتم كثير من الدارسين بدراسة التطبيق الصرفي على المصنفات الأدبية في عصر نقاء اللغة. وتأمل الباحثتان أن تكون الدراسة ذات أثر طيب في إحصاء جميع صيغ (أفعال). وحسب علم الباحثتان أن الدراسة في هذا الموضوع بهذا المدى والعنوان لم تطرق من قبل.

مصطلحات الدراسة:

إن أهم المصطلحات التي تناولتها هذه الدراسة هي:

_ الدلالة: فقد استخدمه ابن جني ليدل به على المعنى الذي يعرف اليوم بما سميّ بالدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية[1]. وعرفها ابن خلدون بقوله:" هذا العلم حادث في اللغة بعد علم

(1) ابن جني الخصائص/ 100-103

العربية واللغة. وهو من العلوم اللسانية لأته متعلق بالألفاظ وما تفيده...". ويعرفه عبد العزيز مطر بقوله: " هو ذلك العلم الذي يبحث في معاني الالفاظ وأنواعها وأصولها، والصلة بين اللفظ والمعنى، والتطور الدلالي، ومظاهره والأسباب التي يخضع لها"[2].

_ صيغة (أفعال): هي صيغة قياسية للقلة والتكسير ذكر سيبويه أن (أفعال) لا تكون إلا جمعا (سيبويه/ الكتاب/316/2) [3]. وافقه في ذلك أبو حيان الذي منع أن يكون (أفعال) مفردا[4].

أما نظرية النظم: فقد حدد معناها السيوطي بأنه:(... للكلمة الواحدة دلالات متعددة يعود للسياق الفضل في اكتسابها لهذه المعاني في ضوء الدلالة اللغويّة[5].

معلّقة لبيد: والمعلقات هي أشهر ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وأطولها نفسًا وأبعدها أثرًا، اختلف الدارسون في سبب تسميتها، قيل: إنها سميت معلقات لأنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة، فسميت بذلك المعلقات أو المذهبات، وأنكر بعضهم تعليقها على جدران البيت الحرام، وزعم أن حَمّادًا الراوية هو الذي جمع القصائد السبع الطوال وقال للناس: هذه هي المشهورات، فأخذها عنه من جاء بعده. وقال آخرون: إنها سميت بذلك لأنها من القصائد المستجادة التي كانت تعلق في خزائن الملوك، وقيل: بل لكونها جديرة بأن تعلق في الأذهان لجمالها، وقيل: لأنها كالأسماط التي تُعلَّق في الأعناق، والراجح اليوم أنها سميت بالمعلقات لتشبيهها بالسموط، أي العقود التي تُعلَّق بالأعناق، وقد سميت أيضًا بالمذهبات لأنها جديرة أن تكتب بماء الذهب لنفاستها[6].

_ الصرف: الصرف في اللغة هو التغيير، ويُقال له أيضاً التصريف. أما في الاصطلاح فهو العلم الذي يدرس الكلمة العربية المتصرفة مثل: الأسماء المعربة والأفعال المتصرفة. يقول ابن جني:" معنى قولنا التصريف هو: أن تأتي إلى الحروف الأصول، فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير فذلك هو التصريف فيها والتصريف لها نحو قولك : ضرب فهذا مثال الماضي، فإنْ أردت المضارع قلت يضرِبُ، أو اسم الفاعل قلت :ضارِب أو المفعول قلت : مضروب، أو المصدر قلت: ضربا أو فعل لم يسم فاعله قلت: ضرِب وإن أردت أن الفعل كان أكثر من واحد على وجه المقابلة قلت:

---

(2) عبد العزيز مطر/ص45

(3) سيبويه/ الكتاب/316/2

(4) أبو حيان البحر المحيط/191/8-194

(5) السيوطي: الاشباه والنظائر26/1.

(6) الزوزني: شرح المعلقات، ص4.

ضارب ،فإنْ أردت أنه استدعى الضرب قلت : استضرب..." [1].

أسئلة الدراسة:

1. ما أثر نظرية النظم في الصيغ الصرفية؟

2.ما شواهد صيغة أفعال التي وردت في معلقة لبيد بن أبي ربيعة؟

3. ما منهج النحاة في صيغ جموع القلة؟

منهج البحث:

استخدمت الباحثتان المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي وذلك باستقراء المادة ووصفها ثم تحليلها. حيث استطاع ذلك المنهج أن يجمع ويضم مصادر المعلومات بعضها إلى بعض. لعل طبيعة البحث قد اقتضت أن تجمع مادته من مصادر ثانوية تمثلت في الكتب القديمة والحديثة إضافة إلى البحوث والدراسات المنشورة في المجلات العلمية المختلفة.

الدراسات السابقة:

لقد عثرت الباحثتان على موضوع واحد يمثل الدراسات السابقة لهذا الموضوع بعنوان (جموع القلة والكثرة وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم) .عتارسية امينة .جامعة سوق هراس (2016-2017م) .وقد حصر الباحث دراسته في إظهار أثر جموع القلة في تحديد الدلالة اللغوية لمفردات القرآن الكريم.

أما (دلالة صيغة أفعال على ضوء نظرية النظم من خلال معلقة لبيد) فيعد فجوة تحتاج إلى استكمال لأنه موضوع لم يدرس في نظر الباحثتين. لذا بحثتا فيه لعله يكون إسهاما ويحفز الآخرين إلى المزيد من البحوث المتعلقة بالقيمة الصرفية للأدب الجاهلي.

المبحث الأول
أثر نظرية النظم في الدلالة الصرفية

المعاني الصرفية لا تهتم بالكلمات من حيث موقعها في الجملة أو ارتباطها بالسياق بل من حيث هيئتها وبنيتها، وقد ظهرت عناية العرب بهذه الدلالة فوصلوا بين النحو والصرف في دراساتهم اللغوية، وقد عبر عن ذلك ابن جني بقوله: " والنحو هو لمعرفة أحواله المتقلبة، ومن أراد معرفة النحو ينبغي عليه معرفة التصريف"[1].

---

(1) ابن جني/ شرح المنصف لكتاب التصريف ، ص 4/1

(1) ابن جني/ المنصف/4/1

كما ظهر اهتمام سيبويه ومن جاء من بعده من علماء العربية بدراسة صيغ الكلمات، لأنه ثبت عندهم أن كل تغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى، فربطوا ربطا منطقيا بين الصيغة ومعناها. فيقول سيبويه في معنى صيغة استفعل: " استعطيت أي طلبت العطية، واستعتبته أي طلبت أليه العتبى، ومثل ذلك استفهمت واستخبرت أي طلبت إليه أن يخبرني ومثله استشرته، وتقول: استخرجته أي لم أزل أطلب إليه حتى أخرج[2]. إلا أن صيغة استفعل لا تلزم دائما صيغة معنى الطلب والاستدعاء فقد تدل على معاني أخرى نحو دلالتها على التكلف مثال ذلك استعظم، أي تعظم واستكبر أي تكبر. وقد تدل على معنى (فعل) نحو استقر أي قرّ، وتكون بمعنى صار نحو استنوق الجمل واستحجر الطين أي صار حجرا[3].

وصيغة (فعلت) في الأغلب تدل على المبالغة والتكثير، فذكر سيبويه أنها تدل على التعدية كذلك فيقول " وأما صبحنا ومسينا وسحرنا فنقول: أتيناه صباحا ومساء وسحرا، ومثله بيتناه: أتيناه بياتا" [4].

أما ابن قتيبة فرأى أن اللفظ متلازم مع المعنى فلا يصدر أحدهما بوجود الآخر. فعلاقتهما متوازنة تبنى على أساس التوازن. فإذا نقص أحدهما عن الآخر ظهر اختلال العلاقة التي تقوم عليها سلامة النص[5].

وقد ظهر مفهوم التطابق بين اللفظ والمعنى عند الآمدي فقد عمل على انتقاء اللفظ المناسب لمعناه، لأن الرابط الذي يوجد بين عناصر العمل الأدائي هو موافقة البنية اللفظية للمحتوى الذي تتضمنه حيث قال: "سوء التأليف ورديء اللفظ وبراعة اللفظ تزيد المعنى بهاء وحسناً ورونقاً يذهب بطلاوة المعنى وحسن التأليف حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة وزيادة لم تعهد وإذا جاء لطيف المعاني في غير بالغة والسبك جديد واللفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق أو تفش العبير على خد الجارية القبيحة "[1].

ذهب ابن جني إلى أن الدلالة الصرفية حقها على الدلالة المعنوية وعدها أقوى منها حيث يقول" إنما الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ،

---

(2) سيبويه الكتاب /70/4

(3) الثعالبي: فقه اللغة

(4) سيبوية : الكتاب

(5) ابن قتيبه : الشعر والشعراء/ 24

(1) الآمدي: الموازنة، ص311

ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها"[2]..(ابن جني/ الخصائص/155/2) ووضح ابن جني أثر الصيغة في تكوين الدلالة بقوله: " فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها دلالته الثلاثية، ألا ترى إلى قام، ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله" [3]. وقد ربط ابن جني بين اللفظ والمعنى من الزوايا الآتية:

1. قوة الصيغة تقابلها قوة في المعنى، يتمثل ذلك في صيغة فعل و افعوعل وفعّال وافتعل. وسبب تلك القوة هو زيادة حروفها، لأن الأصول تابعة للمعاني متى قويت قوي المعنى ومتى ضعفت ضعف أيضا.
2. ترتيب الحروف بما يضاهي الأحداث متمثلاً في صيغة استفعل يقول ابن جني: "إنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب، نحو استقى استطعم واستوهب...فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال"[4].

كما نقل أبو هلال العسكري من ذلك أن صيغة المبالغة متعددة لكل منها معنى خاص به، فإذا كان الرجل قويا على الفعل قالوا: فعول نحو: صبور وشكور. وإذا فعل الفعل وقتا بعد وقت قيل: فعّال، مثل: علام وصبار، وإذا كان ذلك عادة له قيل مفعال، مثل معوان ومعطاء. [5].

يرى كذلك ابن رشيق ضرورة اتحاد اللفظ بالمعنى بدرجة لا تسمح بوجود فجوة بينهما. وعبر عن ذلك بعالقة الروح بالجسد وما بينهما من ارتباط وثيق، فاللفظ والمعنى عنده يكونان بنية متماسكة ذات تجانس دلالي محكم يحفظ

سلامة العمل الأدبي. يقول: "اللفظ جسم المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوي بقوته فإذا سلم للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً ذلك من غير ما تذهب الروح"[1].

أما الجرجاني من خلال نظريته الموسومة بنظرية النظم فقد أوضح إنّه لا بد من معرفة معاني الألفاظ في سياقها الذي وردت فيه " ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلاً

---

(2) ابن جني: الخصائص، 2/ 155.

(3) ابن جني :: الخصائص، 3/ 100.

(4) الأطرش/ الدلالة عند ابن جني/ ص217

(5) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية

(1) ابن رشيق: العمده/124/1.

ويظهر فيه مزية ، وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً واستخباراً وتعجباً وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة .." [2].

ثم ذكر أنه لا بدمن ترتيب الألفاظ وفقاً لترتيب المعاني فقال: " واعلم أن ما ترى أنّه لا بد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر؛ ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"[3].

قد استفاد عبد القاهر من جهود سابقيه في تحديد مفهوم النظم وإرساء أسسه من جهة وربطه بالإعجاز القرآني من جهة أخرى. فبنى نظريته على ثنائية اللفظ والمعنى، وكانت من أبرز المسائل التي اعتنى بها في كتابيه، لأن اللفظ والمعنى عنده يمثلان أساس الظاهرة اللغوية، وجوهر الكلام من حيث تآلفهما وتوافقهما في المفردة الواحدة. حيث توصل الجرجاني إلى أن وحدات اللغة ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل الألفاظ لنشكل التراكيب، وهي تتجدد دائما بفضل النحو ولإعادة تراكيبها، وبالتالي فالألفاظ عند الجرجاني رموز للمعاني، والإنسان يتعرف على مدلول اللفظ المفرد أولا، ثم يتعرف على مدلوله داخل التركيب فالألفاظ سمات لمعانيها، ولا يمكن أن تسبق الألفاظ معانيها وعبر عن ذلك بقوله: " وهل كانت الألفاظ من أجل معانيها؟ وهل هي إلا خدم لها؟ ومصرفة على حكمها؟ أو ليست هي سمات لها، وأوضاع قد وضع لتدل عليها؟ كيف يتصور أن تسبق المعاني أو تتقدمها في تصور النفس وإن جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن عرفت الأشياء، وقبل أن كانت، وما أدري ما أقول في شيء يجر الذاهبين إليه إلى أشباه هذا من فنون المحال، وردئ الأحوال"[1].

أما رأي المحدثين فيمثله الدكتور تمّام الذي يرى أنّ مبادرة العلاّمة الجرجانيّ إلى دراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب [2].

وهكذا فإن الكلمة المفردة لا تكتفي بالدلالة اللفظية وإنما تتعداها إلى الدلالة الصرفية وهي التي تفادها الكلمة من بنائها كما في الأفعال فالفعل قام مثلا دلالته اللفظية هي مصدر القيام، أما دلالته

---

(2) الجرجاني: دلائل الاعجاز/ ص24.

(3) الاعجاز/ 27.

(1) الجرجاني. دلائل الإعجاز:379

(2) تمام حسان : اللغة العربية ، معناها ومبناها، ص 17- 19

الصناعية فتتمثل في كونه يفيد الزمن الماضي، والصيغة(فعل) هي التي أوحت بهذا المعنى، وهي تختلف عن الصيغ (يفعل) التي تفيد الزمن الحاضر أو المستقبل، وهو بذلك يوافق إبراهيم أنيس الذي يرى أن الدلالة الصرفية، تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها. ويمثل لذلك بتميزه بين تخير المتكلم (كذاب) بدلا من (كاذب). فالصيغتان تشتركان في المعنى المعجمي لكنهما تفترقان في المعنى الصرفي، إذ تدل الصيغة الأولى في دلالتها على كلمة كاذب، وذلك ما أجمع عليه اللغويون القدماء حيث تدل على المبالغة بينما (كاذب) تدل على معنى الكذب الذي تحمله هذه الحروف، ويروى أن هذه الزيادة مستمدة من تلك الصيغة المعينة، فاستعمال كلمة (كذب) يمد السامع بقدر من الدلال لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل كاذب[3].

ومن هنا يتبين لنا أن العلماء العرب قديما وحديثا قد اهتموا بدراسة الصيغ الصرفية واستنباط دلالات محددة لكل صيغة، وجاءت نظرية عبد القاهر الجرجاني موافقة لما جاءوا به.

من ذلك كله نستنتج ما يلي:

_ إن اللفظ وعاء يتشكل به المعنى و ليس له أي فاعلية جمالية للنص مهما كانت في تناسق أصواته و صحة معناه مفردا، كما لا يمكن أن يكون به شكل من الإعجاز لوحده و هذا ما يؤكده عبد القاهر بقوله: " و اعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف و سلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة، و أن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز و إنما الذي ننكره، و نقبل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزا به وحده و يجعله الأصل و العمدة"[4].

_ إن للمعنى أهمية كبرى من خلال ما أثبته الجرجاني من أن البلاغة لا يمكن أن تكون في المعنى دون اللفظ، وبالتأليف دون اللفظة المفردة من خلال عملية تأويل النص الأدبي. " و لقد لمس الجرجاني هنا_ و إن لم يصغ ذلك صياغة واضحة_ خاصية الوظيفة الأدبية في النص الأدبي وهي أن التأويل يخلق في النص ضربا من الكثافة المعنوية، فتمكن قراءته بصورة مختلفة، يقول الجرجاني: „و اعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئا أو تحول كلمة من مكانها إلى مكان آخر، و هو الذي وسع مجال التأويل و التفسير حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر و يفسرون البيت الواحد عدة تفاسير[1].

ومن ذلك كله يظهر أن الدلالة الصرفية تستمد عن طريق الصيغ وبنيتها مثلا، قولك في وصف

---

(3) إبراهيم انيس: دلالة الالفاظ، ص 47.

(4) الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص 43.

(1) الجرجاني: ص423.

شخص أنه (كذَّاب) فهذه الصيغة (فعَّال)، أجمع اللغويون على أنها تفيد المبالغة وكان يمكن أن نقول (كاذب)، ولكن هذه الصيغة أمدت السامع بقدر من الدلالة، وللصيغة (فعَّال) دلالة أخرى وهي دلالتها على النسب، مثل يقال (بقَّال)، فهذه لا يمكن أن نعتبرها صيغة مبالغة وإنما هي لدلالة النسب أي صاحب محل للبقالة. ومنه قوله تعالى: وَ ﴿مَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ. ﴾ (فصلت 46)

فظلام جاء على صيغة (فعَّال) ولكن لا يمكن أن يفهم منها صيغة مبالغة، لأن الله منزه عن الظلم وإنما أريد به النسب أي: وما ربك بذي ظلم.

وكذلك تتغير دلالة الكلمة عند التصغير مثل: نهر- نهير بطل_ بطيل للتحقير أو التكثير نحو درهم: دريهمات.

خلاصة ما توصلنا إليه في هذا المبحث بعدما تطرقنا لآراء العلماء حول الصيغ الصرفية هو أن العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى تكشف لنا الكثير من المعاني التي تحملها الألفاظ في ثناياها، ويعد ذلك مادة تستعمل في التطبيق على النصوص اللغوية كما سنبينه في هذه الدراسة من خلال معلقة لبيد (أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري من عامر بن صعصعة من قبيلة هوازن توفي 41 هـ 661م صحابي وأحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهليّة نظّم معلقته وأساسها الطلول، ومنتصفها وصف الخمر والمحبوبة، وآخرها الكرم والفخر[2].

المبحث الثاني
صيغ جموع القلة ومعانيها

أبنية جموع القلة أربعة:

أفعل، أفعال، وأفعِله، وفعله، قال ابن يعيش: "قال صاحب الكتاب: وينقسم إلى جمع قلة وجمع كثرة فجمع القلة العشرة فما دونها وأمثلته أفعل، أفعال، أفعله، فعله، كأفلس وأثواب، وأجربه، وغِلْمَه وما عدا ذلك جمع كثرة... " [1].

إذا فجمع القلة هو الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وما فوق العشرة فجمع كثرة، وهو ينقسم إلى أربعة أبواب:

الأوّل: (أفعُل) بضم العين، قال سيبويه "أمّا ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان فعلاً فإنّك إذا ثلثته إلى أن تعشره فإنّ تكسيره (أفعل). وشروطه هي[2].

أ -أن يكون اسماً. ب / أن يكون صحيح الفاء. ج / أن يكون صحيح العين. د / ألّا يكون مضعفاً.

---

(2) الزوزني: شرح الزوزني، ص 10.

(1) ابن يعيش: شرح المفصل 66.

(2) سيبويه: 24/1.

ومن أمثلته: كلْب، وفحْل، ونجْم، نقول في جمعها أكلب، وأفْحُل، وأنْجُم.

وذكر له سيبويه نوع آخر قال فيه " وأمّا ما كان من هذه الأشياء الأربعة مؤنثاً فإنّهم إذا كسروه على بناء أدنى عدد كسروه على (أفْعُل) وذلك قولك: عُناق وأعْنُق ....." [3].

شروطه هي:

أ / أن يكون اسماً. ب/ أن يكون قبل آخره حرف مد. ج / أن يكون مؤنثاً. د / أن يكون بلا علامة تأنيث. هـ / أن يكون رباعيّاً.

ومن أمثلته ذراع وأذرع، وشمال وأشمُل، ويمين وأيْمُن، وعناق وأعْنُق، ولست أدري لماذا اختلف الرضي في الشافية عن سيبويه في جمع عناق، قال الرضي "

" وجاء في مؤنث الثلاثة أعْنُق، وأذرُع، وأعْنُق شاذ" ولعله اعتبر أن هذه المفردات لمذكرات.

الثاني: أفْعِلة، قال الرضي " وما زيادتُه مرّة ثالثة في الاسم نحو زمان على أزْمنة غالباً.. ونحو رغيف على أرْغفه. ونحو عمود على أعمِده "،[4].

وقال سيبويه في باب تكسير ما عدة حروفه أربعة أحرف للجميع: "أمّا ما كان (فعالا) فإنّك إذا كسرته على بناء أدنى العدد كسرته على (أفْعِله) وذلك قولك: حِمارٌ وأحْمِره، وخِمَارٌ وأخْمِره " ،

وقال (وأمّا ما كان فعيلاً فإنّه في بناء أدنى العدد بمنزلة فِعال وفُعال ... وذلك قولك رغيف وأرغفة) [1].

ثم قال (فأمّا ما كان منه من بنات الواو التي الواوات فيهن عينات فإنّك إذا أردت بناء أدنى العدد كسرته على (أفعله) وذلك قولك: خِوان وأخْونه..) [2].

من ذلك يتبين لنا ما يلي:

_ إنّ وزن أفعله يطرد في جمع اسم مذكر رباعي، قبل آخره حرف مد سواء أكان فُعال أو فِعال أو كان مضعّفاً. وقد ذكر سيبويه والرضي ما آخره حرف مد سواء كان ألفاً، أو ياءَ، أو ياءً، ولكن نلاحظ إنَّ سيبويه قال فيما قبل آخره ياء " وما كان فعيلا فإنّه في بناء أدنى العدد بمنزلة فِعال وفُعال وهو يقصد في مثل (فِعال) حِراج فإنّه يجمع على أفعله، و(فُعال) غُراب فإنّه يجمع على أغربه.

---

(3) سيبويه: ص25/1

(4) الرضي: 125/2.

(1) سيبويه: ص 602.

(2) سيبويه: 1/ 602.

أمثلة هذا الجمع كثيرة منها رغيف وأرغفة، وقميص وأقمصه، وعمود وأعمدة، وكساء وأكسية، ورداء وأردية.

_ ما شذّ في هذا الباب مما لم يستكمل الشروط فيحفظ ولا يقاس عليه وذلك مثل نجْد وأنجِده، وصُلْب وأصْلِبه، وسِن، وأسنّه، وحال وأحوله، وزمن وأزمنه، وباب وأبوبه؛ وسبب الشذوذ في هذه الجموع هو أن مفرداتها ثلاثية.

_ هناك كلمات يحتمل فيها التذكير والتأنيث وتجمع على أفعله أو أفعل على المرجح فيهما مثل كلمة لسان فيحتمل فيها ألسن على التذكير، وألسنه على التأنيث.

الرابع: فِعْله بكسر فسكون

هذا الجمع لا يطّرد في شيء من الأوزان، وإنّما هو مقصور على ما ورد عن العرب ومحفوظ في ستة أوزان، [3].

1 / فعيل بفتح فكسر كصَبِي وصبيه.

2 / فَعَل بفتحتين، كوَلَد ووِلْده.

3 / فَعْل بفتح فسكون، كشَيْخ وشيخه.

4 / فُعَال بضم ففتح كغُلَام وغِلْمه.

5 / فَعَال بالفتح كغزال وغِزْله.

6 / فِعْل بكسر فسكون كثني وثنيه.

الجمع (أفعال)

ذكر سيبويه شروطه:

1 / أن يكون اسما. 2 / ممكن أن يكون صحيح العين ومعتلها. 3 / أن يكون خلافاً لمفتوح الفاء الساكن العين، ولصحيح العين تسعة أوزان:

1 / فَعِل، قال سيبويه " وما كان على ثلاثة أحرف وكان فِعْلاً فإنّما تكسره من أبنية أدنى العدد على أفعال وذلك نحو (كتْف وأكْتَاف) [1]. ومن أمثلته أيضا كَبْد وأكْبَاد، ووعْل وأوْعَال.

2 / فَعُلَ بضم ففتح، قال الرضي " ونحو صُرْد صِرْدان فيهما وجاء أرْطَاب ورِبَاع فيهما"[2].

3 / فَعَل بفتحتين، قال الرضي " ونحو جَمَل على أجْمَال "، وقال سيبويه " وما كان على ثلاثة

---

(3) ابن الحاجب: 126/2.

(1) سيبويه 57/1)

(2) الرضي 99/2

أحرف وكان (فعَلاً) فإنّك إذا كسرته لأدنى العدد بنيته على (أفعال) وذلك قولك جَمَلٌ وأجْمَال، وجَبَلُ وأَجْبال، وأَسَدُ وآسَاد"[3]. ، ومن أمثلته أيضاً زَمَنٌ وأَزْمَان، ووثَنٌ وأوْثان، وصَنَم وأصْنَام.

4 / فِعْل بكسر فسكون، قال سيبويه " وقالوا في فِعْل من بنات الواو رِيْح وأرْواح..." [4] ، وقال الرضي " ونحو رِمْل على أحْمال"، ومثاله أيضاً جِسْم وأجْسَام، وبِئْر وآبا. [5].

5 / فُعُل بضمتين، قال الرضي " ونحو عُنُق على أعْنَاق "، ومثاله أيضا نُزُل أنْزَال، خُلُق أخْلَاق[6].

6 / فُعْل بضم فسكون، قال سيبويه " وأمّا ما كان فُعْلاً من بنات الواو فإنّك تكسره على أفْعَال إذا أردت بناء أدنى العدد وذلك نحو عُوْد وأعْوَاد، وغُوْل وأغْوَال، وحُوْت وأحْوَات"[1].

7 / فِعَل بكسر ففتح، قال الرضي " ونحو عِنَب على أعْنَاب "، ومثاله أيضاً ضِلَع وأضْلَاع[2]

8 / فَعُل بفتح فضم، قال الرضي " ونحو عَجُز على أعْجَاز فيهما "، ومثاله أيضاً عَضُد وأعْضَاد[3] .

9 / فِعِل، قال الرضي " ونحو إبِل على آبال فيهما "، ومثاله أيضا، حِبِر وأحْبَار.

وانفرد المعتل بوزن واحد هو، فَعْل، ومثال المعتل بالواو قول سيبويه " أمّا ما كان فعْلاً من بنات الواو والياء فإنّك إذا كسرته على بناء أدنى العدد كسرته على أفعال، وذلك سوْط وأسْواط، وثوْب وأثْواب، وقوْس وأقْواس "[4].

وقال الرضي " ...وبابُ ثوْب على أثْوَاب "[5]

ومثال المعتل بالياء قول سيبويه " وأمّا ما كان من بنات الياء وكان فَعْلاً فإنّك إذا بنيته بناء أدنى

---

(3) الكتاب/570/1

(4) سيبويه/592/1)

(5) الرضي/ 2/ 92

(6) الرضي/ 99/2

(1) سيبويه/593/1

(2) الرضي/ 98/2

(3) الرضي/ 98/2

(4) الرضي: 2/ 89

(5) الرضي: 98/2

العدد بنيته على أفعال وذلك قولك بيْت وأبْيَات، وقَيْد وأقْيَاد [6]". .

ومثال المعتل بالألف باب وأبْواب، ونلاحظ أن وزن عُود (فُعَل) واشترك مع الصحيح في وزن واحد وهو (فُعْل) ، نحو صُرْد وقد ذكر في محله

خلاصة ذلك أنّه لا خلاف بين العلماء في أن جموع القلة الرئيسة هي (أفعل، أفعال، وأفعِله، وفعله، قال ابن يعيش: "قال صاحب الكتاب: وينقسم إلى جمع قلة وجمع كثرة فجمع القلة العشرة فما دونها وأمثلته أفعل، أفعال، أفعله، فعله، كأفلس وأثواب، وأجربه، وغِلْمَه وما عدا ذلك جمع كثرة...

المبحث الثالث

معاني صيغة (أفعال) في معلقة لبيد بن أبي ربيعة

عند دراسة جمع من الجموع لا بد من النظر إلى الألفاظ وهي مفردة؛ لأن المركب لا يفهم إلّا بعد العلم بمفرداته؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود الذهني والخارجي، فالنظر في المعنى هو بحسب إفراد الألفاظ وتراكيبها، وأمّا بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ بإزائها وهو يتعلق بعلم اللغة، ومن جهة الصِّيغ، وهو غلم التصريف، ومن جهة رد الفروع المأخوذة إليها وهو علم الاشتقاق.

وأمّا بحسب التركيب فمن وجوه أربعة: الأوّل، كيفية التراكيب بحسب الإعراب وذلك متعلق بعلم النحو والثاني باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى؛ وهو لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني. والثالث باعتبار طرق تأدبه المقصود بحسب وضع الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز، والاستعارة، والكناية، والتشبيه وهو ما يتعلق بعلم البيان. والرابع باعتبار الفصاحة اللفظية، والمعنوية والاستحسان ومقابله وهو يتعلق بعلم البديع[1]..

وللفصل بين الدراسة النحوية والصرفية والدراسة البلاغية سنكتفي من البلاغية بالناحية السياقية؛ لان بحر البلاغة بحر واسع. وأن الدراسات البلاغية في كثير من الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية، لذلك كان من الصعب على من يتصدى لدراسة الجملة دراسة بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النّحوية أو يحدد بين اللونين تحديداً كاملاً[2].

---

(6) سيبويه/1/ 588

(1) الزركشي/ 2 /173. 174

(2) الزمخشري / البلاغة القرآنية/ ص324

الجمع (أفعال) في معلقة لبيد:

1 ـ أطلاء

والعينُ ساكِنةٌ على أطْلائِها عُوذاً تَأجَّلُ بالفضَاءِ بِهَامُها

الطّلا: ولد الوحش والجمع أطلاء، والعوذ: الحديثات النتاج، الواحدة عائذ. والبهام: أولاد الضّأن. والمعنى أنّها صارت مغنى الوحوش بعد كونها مغنى الإنس[3].

ومن خلال السِّياق يتبين لنا أن (أطلاء) دلّ على الكثرة إذ لا يعقل أن يكون ولد الوحش أقلّ من العشرة.

قال سيبويه: "فأمّا القردة فاستغنى بها عن (أقراد) كما قالوا: ثلاثة شسوع فاستغنوا بها عن أشساع، وقالوا: ثلاثة قروء فاستغنوا بها عن ثلاثة أقراء، وذلك في معرض حديثه عن جمع القلة الذي يكون للقلة والكثرة وبالعكس[1].

وقال بن يعيش: " وقد يستغنى بجمع عن جمع فيستعمل جمع القلة للقلة والكثرة وبالعكس كالرجال فهومن أوزان الكثرة ويستعمل للقلة والكثرة، وكالأقلام جمع قلم وهو من أمثلة القلة ويستعمل للقلة والكثرة[2].

2 ـ أقلام

وجَلا السُّيولُ عن الطّلُولِ كأنّها زبرٌ تجِدُّ متونَها أقْلامُها

جلا: كشف. الزبر: جمع زبور وهو الكتاب، والزبْر الكتابة. ويقول كشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها بعد ستر التراب إياها، فكأنّ الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها، فشبه كشف السيول عن الأطلال التي غطاها التراب بتجديد الكتّاب سطور الكِتاب للدارس[3].

وقد رتبت الألفاظ - جلا السيول عن الطلول - في هذا البيت بصورة بارعة جدا ؛ وذلك وفقاً للمعاني الملائمة لها ؛ تجديد الكتّاب سطور الكِتاب .وقد ذكر الجرجاني إنه لا بد من ترتيب الألفاظ وفقاً لترتيب المعاني " واعلم أن ما ترى أنّه لا بد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر ؛ ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني

---

(3) الزوزني/ ص 173

(1) سيبويه/179/2)

(2) ابن يعيش 11/5)

(3) الزوزني/ص175

فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"

والسيّاق هنا يدل على أنّ (أقلام) جمع قلة؛ إذ لا يعقل أنّ الكتّاب يجددون سطور الكتاب بأكثر من عشرة أقلام.

3 - آرام

زُجَلاً كأنَّ نِعَاجَ تُوضِحَ فَوْقَهَا وظِباءَ وجرَة عُطَّفاً آرَامُهَا

الزجل: الجماعات الواحدة زُجْلة. النعاج: إناث بقر الوحش. وجرة: موضع بعينه. الآرام: جمع رِئْم وهو الظبي الخالص البياض.

يقول: تحملوا جماعات كأنّ إناث بقر الوحش فوق الإبل، شبه النساء في حسن الأعين والمشي بها أو بظباء وجرة في حال ترحمها على أولادها. شبه النساء بالظباء، رفع آرامها لأنّها فاعل والعامل فيها الحال السّادة مسد الفعل. (1).

وهنا يتبين لنا استحالة تقديم أو تأخير أو حذف أو إضافة أي كلمة من الكلمات؛ إذ لو حدث ذلك لاختل المعنى ولقد أوضح لنا الجرجاني الاختيار المناسب للوحدات النحوية وعدم اتّساق النسّق بدونها بقوله " اعمد إلى أي كلام شئت وازل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في (قفا نبك من ذكرى حبيبِ ومنزلِ)، من نبك قفا حبيب ذكرى منزل " ثم انظر هل يتعلّق منك فكر بمعنى كلمة منها (2)."

والسياق هنا يدل على أنّ (آرام) جمع كثرة.

4 - أجزاع.

حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السَّرَابُ كأنها أجْزَاعُ بِيشة أثْلُهَا وَرُضَامُهَا

الحفز: الدفع، والفعل حفز يحفز. الأجزاع: جمع جزع وهو منعطف الوادي. بيشة: واد بعينه. الأثل: شجر يشبه الطرفاء. الرضام: الحجارة العظام، الواحدة رضْمة. أي لاحت قطع السراب ولمعت، فكأنّ الظعن منعطفات وادي بيشة أثلها وحجارتها العظام، شبهها ي العظم والضخم بهما، والضمير الذي أُضيف إليه أثل ورضام لبيشة(3).

و(أجزاع) هنا جمع قلة؛ لإضافته إلى مفرد بيشة)؛ وجمع القلة إذا أُضيف إلى مفرد فإنّه يدل على

---

(1) الزوزني/ ص177

(2) الجرجاني/ ص41

(3) الزوني/ ص176

القلة[4].

5 ـ أسباب:

بلْ ما تذكرُ منْ نوارَ وقد نأتْ وَتَقَطَّعَتْ أسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا

نوار: اسم امرأة، الرّمام: جمع رمة وهي قطعة من الحبل خَلِقة ضعيفة، والمعنى أي شيء تتذكرين من نوار في حال بعدها وتقطّع أسباب وصالها ما قوي منها وما ضعف[1]..

وقد أفاد (أسباب) هنا جمع القلة بدليل البيت بعده

مُرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وَجَاوَرَتْ أهْلَ الحِجَازِ فأيْنَ مِنْكَ مَرَامُهَا

والمرية بلد معروفة ... أي تعذر عليك طلبها؛ لأنّ بين بلادك وفيد والحجاز مسافة بعيدة.

فالسبب في سياق الكلام واحد؛ ولذا فالجمع جمع قلة.

6 ـ أسفار:

بِطَلِيحِ أسْفَارٍ تَرَكْنَ بقيَّةً منها فأحنقَ صُلْبُها وسنامُها

طلحت البعير: أطلحه طلحاً أعييته، فطليح بمنزلة الجريح. أسفار جمع سفر.

والمعنى: فأنت تقدر على قطيعته بركوب ناقة قد اعتادت الأسفار ومرنت عليها[2]

ودل الجمع (أسفار) هنا، على الكثرة.

7 ـ آرام: واحدها إرم.

بأحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا قَفْر المَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرامُهَا

الأحزة: جمع حزيز وهو مثل " القُفِّ"؛ ما ارتفع من الأرض. ثلبوت: موضع بعينه. ربأت القوم: كنت ربيبة لهم، القفر: الخالي. المراقب: جمع مرقبة وهو الموضع الذي يقوم عليه الرقيب، الآرام: أعلام الطريق، الواحد إرَم.

يقول: يعلو العير بالأتان الإكام في قفاف هذا الموضع، ويكون رقيباً فوقها في موضع خالي من الأماكن المرتفعة، وإنّما يخاف أعلامها، أي يخاف استثار الصيادين بأعلامها[3].

ومن السّياق يتبين لنا أنّ الجمع (آرام) أفاد الكثرة؛ لأنّ أعلام الطريق كثيرة.

---

(4) السامرائي/ ص 159

(1) الزوزني/177.

(2) الزوزني/ ص 180

(3) الزوزني / ص182.

8 ـ أسْنام

مشمُولةٍ غلِثَتْ بنابتِ عرْفَجٍ كَدُخَانِ نارٍ سَاطِعٍ أسْنَامُها

مشمولة: هبت عليها رياح الشمال، وقد شمل الشيء أصابته ريح الشمال. الغلث: الخلط النابت: الغض. العرفج: ضرب من الشجر. الأسنام: جمع سنام.

يقول: هذه النار قد أصابتها الشّمال وقد خلطت بالحطب اليابس.. كدخان نار قد ارتفع أعاليها، وسنام الشيء أعلاه، شبه الغبار السّاطع من قوائم العير والأتان بنار أُوقدت بحطب يابس شرع فيه النار[1]. وهنا نرى روعة التشبيه وروعة الألفاظ وقد شبه الجرجاني جمال النظم بريشة فنان قال: " وإنّما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما أنّك ترى الرجل قد تهدّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج، إلى ضرب من التخيير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إيّاها ... الى ما لم يتهد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر ... [2]. " والجمع (أسنام) هنا، جمع كثرة؛ لإضافته إلى ضمير المؤنث؛ أي أسنام النّار.

9 ـ أزلام.

حتى إذا انحسَرَ الظلامُ وَأسْفَرَتْ بكرتْ تزلُّ عن الثَّرَى أزْلامُها

الانحسار: الانكشاف والانجلاء. الإسفار: الإضاءة. والأزلام قوائمها، وجعلها أزلاماً لاستوائها، ومنه سمِّيت القِداح أزلاماً، والتزليم التسوية، وواحد الأزلام زَلَم، وزُلَم.

يقول: حتى إذا انكشف وانجلى الظلام وأضاء، بكرت البقرة من مأواها فنزلت قوائمها عن التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه ليلاً[3].

وهو هنا يتحدث عن بقرة واحدة بدليل قوله:

أفَتِلْكَ أم وحْشِيَّةٌ مسبوعَةٌ خذلتْ وهاديةُ الصِّوارِ قِوَامُها

والمسبوعة التي أصابها السبع بافتراس ولدها. الهادية: المتقدمة، والصوار القطيع من بقر الوحش.

يقول: أفتلك الأتان المذكورة تشبه ناقتي في الإسراع في السير أم بقرة وحشيّة قد افترس السّبع

---

(1) الزوزني، ص 184

(2) الجرجاني، ص 88

(3) الزوزني، ص 188

ولدها حين خزلته وذهبت ترعى مع صواحبها[4].

(أزلام) وهي قوائم البقرة جمع قلة.

10 - أيّام

عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صَعَائِدٍ سَبْعاً تُؤاماً كاملاً أيّامُها

العله والهلع: الانهماك في الجزع والضجر. النهاء: جمع نهْي ونِهْي، بفتح النون وكسرها: وهما الغدير، وكذلك الأنهاء. صعائد: موضع بعينه. التوأم: جمع توأم.

يقول: أمعنت في الجزع وترددت متحيرة في وهاد هذا الموضع، ومواضع غدرانه سبع ليال توأم للأيّام وقد كملت أيام تلك الليالي، أي ترددت في طلب ولدها سبع ليالٍ بأيامها، أي البقرة[1].

وقد دلّ (أيّام)هنا على القلة؛ بدليل قوله إنّها ترددت سبعة أيّام؛ لأن تمييز العدد من ثلاثة إلى عشرة يأتي قلة.

11 - أعْصام:

حتى إذا يئسَ الرُّماةُ وأرْسَلُوا غضفاً دواجنَ قافلاً أعْصامُها

الغضف من الكلاب: المسترخية الآذان، والغضف: استرخاء الأذن. الدواجن: المعلمات. القفول: اليبس. أعصامها: بطونها مفردها عَصِم.

يقول: حتى إذا يئس الرماة من البقرة وعلموا أنّ سهامهم لا تنالها، أرسلوا كلاباً مسترخية الآذان معلّمة ضوامر البطون. [2].

والكلاب المرسلة في مثل هذه الحالة لا تتجاوز السبعة؛ وبهذا يكون الجمع (أعصام) جمع قلة.

12 - أعلام:

فعَلوتُ مرتقباً عَلى ذي هَبْوَةٍ حَرِجٍ إلى أعلامِهِنَّ قَتَامُها

المرتقب: المكان المرتفع الذي يقوم عليه الرقيب. الهبوة: الغبرة. الحرج: الضيّق جداً. الأعلام: الجبال والرايات. القتام: الغبار.

أي ربأت على جبل قريب من جبال الأعداء ومن راياتهم[3].

---

(4) الزوزني : ص 186.

(1) الزوزني ، ص 189.

(2) الزوزني/ ص195.

(3) الزوزني ص 195

وقد حملت هذه الصيغة (أعلام) معنى الكثرة، لكثرة عدد الجبال.

13 ـ أقدام.

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنَّهَا جنُّ البديّ رواسياً أقدامُها

غُلْبٌ: الغلب الغلاظ الأعناق. التشذر: التهدد. الذحول: الأحقاد، الواحد ذحل. البدي موضع بعينه. الرواسي: الثوابت.

يقول: وهم رجال غلاظ الأعناق كالأسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم، ثم شبههم بجن هذا الموضع في ثباتهم في الخصام والجدال، يمدح خصومه، وكلما كان الخصم أقوى وأشد كان قاهره أقوى وأشدّ[1].

ومن خلال السياق فقد حمل الجمع (أقدام) معنى الكثرة؛ لكثرة عدد الجن.

14 ـ أجسام:

وَجزَورِ أيْسَارٍ دَعَوْتُ لحتفِها بِمَغَالِقٍ مُتَشَابهٍ أجسامُها

الأيسار: جمع يسر وهو صاحب الميسر. المغالق: سهام الميسر: سمّيّت بها لأنّ بها يغلق الخطر من قولهم: غلق الرهن يغلق غلقاً، إذا لم يوجد له تخلص وفكاك، والغلق: استحقاق الرهن.

يقول: ورب جزور أصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقدها بأزلام؛ وهي سهام الميسر، متشابهة الأجسام، وسهام الميسر يشبه بعضها بعضاً. [2]

حملت الصيغة (أجسام) في هذا الموضع معنى القلة؛ لأنّه يقول بمغالق، والمغالق السهام التي يقرع بها بين إبله أيّها ينحر للندماء وهي أقل من العشرة.

15 ـ أهضام:

فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنّما هبَطَا تبالَةَ مخصِباً أهْضَامُها

الجنيب: الغريب. تباله: واد مخصب من أودية اليمن. الهضيم: المطمئن من الأرض والجمع الأهضام[3].

يقول فالأضياف والجيران الغرباء عندي كأنّهم نازلون هذا الوادي في حال كثرة نبات أماكنه المطمئنة، شبه ضيفه وجاره في الخصب والسعة بنازل هذا الوادي أيّام الربيع.

ومن خلال السياق يتبين لنا أنه جمع كثرة.

---

(1) الزوزني/ ص 197.

(2)الزوزني: ص197- 198

(3) الزوزني، ص 198.

16- 17 أطناب وأهدام:

تأوِي إلى الأطْنابِ كلُّ رذيَّةٍ مِثْلُ البَلِيّةِ قَالصٌ أهدَامُها

الأطناب: حبال البيت واحدها طنب. الرذيّة: الناقة التي ترذي في السفر، أي تخلف لفرط هزالها وكلالها والجمع الرذايا، استعارة للفقيرة. البليّة: التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت، والجمع البلايا. الأهدام: الأخلاق من الثياب واحدها هدم. قلوصها: قصرها.

يقول: وتأوي إلى أطناب بيتي كل مسكينة ضعيفة قصيرة الأخلاق التي عليها لما بها من الفقر والمسكنة، ثم شبهها بالبلية في قلة تصرفها وعجزها عن الكسب وامتناع الرزق منها[1].

ومن السياق يتضح لنا أن الجمع (أطناب)جمع كثرة؛ لأنّ الحبال التي تشد البيت كثيرة، وكذلك الجمع (أهدام) جمع كثرة، لكثرة الإبل التي تأوي إلى بيته.

18 - أيتام:

ويكلّلُونَ إذا الرياحُ تناوحَتْ خُلُجاً تمدُّ شوارعاً أيْتَامُها

تناوحت .تقابلت ومنه قولهم: الحبلان متناوحان أي متقابلان، ومنه النوائح لتقابلهن. الخلج: جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير أو بحر والخَلْج الجذب. تمد: تزداد. شرع في الماء: خاضه.

يقول ونكلل للفقراء والمساكين والجيران إذا تقابلت الرياح أي في كلب الشتاء؛ شدة برده – واختلاف هبوب الرياح جفافاً تحكي بكثرة مرقها أنهاراً يشرع أيتام المساكين فيها وقد كُللت بكسور اللحم.

والمعنى: ونبذل للمساكين والجيران جفاناً عظاماً مملوءة مرقاً في كلب الشتاء وضنك المعيشة[2].

ومن خلال السياق يتبين لنا دلالة صيغة (أيتام) على الكثرة.

19 - آباء.

مِنْ معشرٍ سنَّتْ لهمْ آباؤهُمْ ولكلِّ قومٍ سُنَّةٌ وإمامُهَا.

يقول هم من قوم سنّت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالي واغتنامها، ثم قال: ولكل قوم سنّة وإمام سنّة يأتم به فيها[3].

---

(1) الزوزني: ص 190.

(2) الزوزني: ص 199.

(3) الزوزني: ص200

ومن السياق فقد دلت صيغة (آباء) على القلة؛ لأن جمع القلة (أفعال) عندما يضاف إلى ضمير جماعة الذكور فإنّه يدل عليها[1].

لا يَطبَعونَ وَلا يَبورُ فَعالُهُم إِذ لا يَميلُ مَعَ الهَوى أَحلامُها

الطبع: تدنس العرض وتلطخه، والفعل طبع يطبع. البوار: الفساد والهلاك. الفعال: فعل الواحد جميلاً كان أم قبيحاً.

يقول: لا تتدنس أعراضهم بعارٍ ولا تفسد أفعالهم إذ لا تميل عقولهم مع أهوائهم[2].

ومن السياق فقد حمل (أحلام) معنى الكثرة؛ لأن الإضافة إلى ضمير الإناث يؤتى به للدلالة على الكثرة خلاف المذكر [3].

خاتمة:

بحمد من الله وتوفيقه، فقد تم عرض البحث الذي حاولنا فيه إبراز أهمية نظرية النظم للدارسين؛ وذلك عن طريق عرضها على صيغة من صيغ جموع القلة وهي صيغة " أفعال " وتطبيقها على قصيدة من قصائد الشعر الجاهلي، الذي يمثل الأصل اللغوي للغة العربية ومنه تستمد قوتها ووجودها، وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

1 - أغفل النحاة ما كان على وزن " فَعْل " بفتح وسكون مع مجيئه كثيراً نحو، شرْط وأشراط، وشخْص وأشخاص، وألْف وآلاف، ونهْر وأنهار، وسجْع وأسجاع، وربْع وأرباع، وجفْن وأجفان.. الخ

2 - قد يجيء أفعال على أفعل نحو، قوْس أقوس، ثوْب أثوب، عيْن أعين، وقد يجيء غير الأجوف على أفعال أيضا نحو فرْخ أفراخ، وفرْد أفراد كما بينت.

3 . انفرد المعتل بالألف بوزن واحد وهو " فَعْل " بفتح وسكون نحو، باب، ولم تتم الإشارة لمقابله الصحيح العين.

4 . الوزن " فُعْل" المعتل العين بالواو له مقابل صحيح واحد؛ نحو صُرْد.

4 . لا تؤخذ دلالة الصيغ الصرفية مثل " أفعال " من دلالتها على القلة وإنّما من السياق وما يحتويه من قرائن دالة على المعنى المراد؛ وبهذا تتضح لنا أهميّة السياق وما يحمله من

---

(1) عظيمة/293/4

(2) الزوزني: ص200

(3) الزمخشري/ الكشاف 531/3

قرائن للوقوف على الدلالة العميقة للكلمة، وخصوصا مع أشعار يظن بها البعض الغموض مثل المعلقات.

5 .يرتبط علم الصرف ارتباطا وثيقاً بعلم الدلالة؛ وذلك أنّه عندما تتغير البنية يتغير تبعاً لذلك المعنى في المفردة وفي السياق.

6 .إن اللفظ يُعْرف معناه من السياق وهو يقع في الألفاظ مرتبا في المعاني المرتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية الفعل، كما ذكر ذلك عبد القاهر.

7 - من خلال نظرية النظم يتبين لنا علاقة النحو بالبلاغة من خلال المعاني المتمثلة في الأبواب النحوية مثل الفاعليّة والمفعولية ومعاني الأدوات مثل حروف الجر وحروف العطف، ومعاني الجمل مثل النفي والاستفهام ...الخ

8 .كشفت لنا الدراسة السياقية كثرة الأوزان التي جاءت على الكثرة بالرغم عن تخصصها بالقلة.

فهرس المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

2. أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود شاكر. مكتبة الخانجي. 1991

3. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، تحقيق غازي مختار طليمات، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

4. إنباه الرواة على إنباه النحاة، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1369 _ 1950 م.

5. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة بيروت. ط1. 1391.

6. البلاغة الأسلوبية. محمد عبد المطلب. مكتبة لبنان ط 1994.

7. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية. د محمد أبو موسى. مكتبة وهبة. ط2. 1408 هـ.

8. تاج العروس من جواهر القاموس، الإمام اللغوي، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار صادر، بيروت.

9. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، ط3، القاهرة 1973

10. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي. دار الكتب للطباعة والنشر. بيت الحكمة. 1989.

11. تفسير القرآن الحكيم. محمد رشيد رضا. ج1. ط2. 1366هـ 1947 م

12. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي. دار الفكر. بيروت. ط1، 1421

13. الخصائص. ابن جني. عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.. ط2006 م.

14. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. عضيمة. دار الحديث. جامعة الأزهر. ج4. د. ط

15. دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. ت محمد رشيد رضا، بيروت، ط 1998.

16. الدلالة عند ابن جني من خلال كتاب الخصائص، سامية الأطرش، الاردن - الجامعة الاردنية, 1994م

17. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية،1984م.

18. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي. تحقيق محمد نور الحسن. محمد الزفزاف. محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1395 هـ. 1975 م

19 . شرح المنصف لكتاب التصريف، ابن جني، تحقيق لجنة من الأستاذين: إبراهيم مصطفى- عبد االله أمين/ إدارة، إحياء التراث القديم / مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر / ط1

20 . شرح المعلقات السبع للزوزني .. أبي عبد الله الحسين بن أحمد . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . مكتبة الرياض الحديثة . د . ت.

21 . شرح المفصل للشيخ العلامة يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفى سنة 643 هـ . عالم الكتب بيروت.

22 . الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، 1982م

23 . صفة الصفوة . عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج . تحقيق محمود فاخوري . د. محمد رواس . دار المعرفة . بيروت ط2 1399 هـ

24 . فقه اللغة وأسرار العربية ، الثعالبي / تحقيق : مصطفى السقا و آخرون /ط2 / د ت .)

25 . في الدلالة والتطور الدلالي، أحمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع/1989،36م.

26 . علم اللغة وفقه اللغة، عبد العزيز مطر، ط، قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر،1985.

العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، ط1، الجزائر، 1425هـ -1907م

27 . الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه محمد بن إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص12

28 . الكتاب . سيبويه . تحقيق عبد السلام محمد هارون . المكتبة المصرية، القاهرة 1412هـ /1992 م

29 . اللّغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان / عالم الكتب– القاهرة / ط 3 / 1418 هـ– 1998م.

30. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . للزمخشري . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر 1972.

31 . المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم الينسابوري . تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلميّة . بيروت . ط1. 1411 هـ.

32 . معجم المحدثين . أبو عبد الله محمد الذهبي . تحقيق محمد الحبيب الهيلة . مكتبة الصديق .

الطائف. ط1. 1408 هـ.
33. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1414هـ- 1993م. ابن خلدون عبد الرحمن بن أحمد الحضرمي ت808هـ
34ـ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ط3، القاهرة، لجنة البيان العربي، تحقيق علي عبد الواحد وافي، 1957م).
35. مفهوم علم الصرف، محمود أحمد نخلة، لغة القرآن في جزء عم / دار النهضة العربية / بيروت /1981م، ص 383
36. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي ، دار المعارف، مكتبة الخانجي
37. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. تأليف إسماعيل باشا البغدادي. وكالة المعارف. إستانبول 1951 م